

الصراط المستقيم

قال تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ
وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
﴿١٥٣﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣ . (١)

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية :

" هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم ، فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله ،
فأمر فيها باتباع طريقه على ما نبينه بالأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف ، وأن الذي ذكر في
هذه الآية صراطى مستقيما .

والصراط : الطريق الذى هو دين الإسلام .

مستقيما : نصب على الحال ، ومعناه مستويا قويا لا اعوجاج فيه ، فأمر باتباع طريقه
الذى طرقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة ، وتشعبت منه
طرق ، فمن سلك الجارة نجا ، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي تميل .

عن عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ، ثم قال :

" هذا سبيل الله " ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن يساره ثم قال : " هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها " ، وأخرج ابن ماجه في سننه عن جابر عن عبد الله

(١) الجامع لأحكام القرآن - ج 7 ص 137 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال : " وهذا سبيل الله - ثم تلا هذه الآية - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " وهذه السبل تعم سائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع ، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرصة للزلل ، ومظنة لسوء المعتقد.

وقال عبد الله بن مسعود : تعلموا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع ، وعليكم بالعتيق (القديم) .

وقال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: " وأن هذا صراطي مستقيما " فدخل فيه كل ما بينه الرسول ﷺ من دين الإسلام وهو المنهج القديم والصراط المستقيم، فاتبعوا جملة وتفصيلا ولا تعدلوا عنه فتقعدوا في الضلالات ⁽¹⁾ .

- وقال تعالى :

﴿ الْمَص ١ ﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٢ ﴾ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿ ٣ ﴾ الأعراف: ١ - ٣ . (2)

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية :

" يعنى الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " أي اتبعوا ملة الإسلام والقرآن، وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وامثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، ودلت الآية على ترك إتباع الآراء مع وجود النص .

- وقال الله تعالى على لسان إبليس :

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِ لَأَقْعُدَنَّ لَكَ مَصْرَطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦) الأعراف: ١٦ .

أي بالصد عنه ، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك ، أو يضلوا كما ضل ، أو يخيبوا كما خيب ، فالشيطان حريص كل الحرص على أن يقف أمام الطريق المستقيم ليصد المؤمنين عنه،

(1) التفسير الكبير ج 14 ص 3

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 160 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

وليسلكوا بعد ذلك ما شاءوا في أقصى اليمين أو أقصى الشمال، لأنهم في الحالتين، إما تشددوا جداً في سلوكهم فحادوا عن الصواب ، أو ساروا في طريق المغضوب عليهم والضالين فخسروا آخرتهم، ويتأكد ذلك في سورة الفاتحة التي نقرأها في كل ركعة في الصلاة ، ندعو فيها الله ، هدايتنا إلى صراطه المستقيم ، خير دليل ، على أن صراط الله المستقيم هو الطريق السليم الذي يجب على كل مسلم أن يبذل أقصى جهده لكي يلتزمه ، ولا يجحد عنه لا إلى اليمين - أي التطرف والغلو في الدين - ولا إلى اليسار - أي الملل والأفكار المنحرفة التي تخالف الدين في أصوله وما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وهناك كثير من الآيات القرآنية، لها صلة بموضوعنا هذا - الحجاب - ولكن بطريق غير مباشر، وتدعونا إلى التفكير السليم وعدم التسرع في الحكم على الأمور ، والتيقن عند الحكم بحرمة شيء أو حله، بالعثور على الدليل الصحيح من القرآن الكريم أو السنة النبوية المشرفة، حتى لا نفترى على الله الكذب⁽¹⁾ ، وأن لا نأخذ حكماً بناه على نص واحد سواء من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبوية ، ولكن يجب تجميع كافة الآيات القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية التي تكلمت في موضوع معين ، ومعرفة تفسيرها ومعناها ، والرجوع إلى المتخصصين في العلوم الشرعية حتى نتأكد من الحكم الصحيح، وأن نضع في اعتبارنا أن الفقهاء الكبار لم يكونوا متعصبين لأرائهم ، بل كانوا يقولون: " رأينا صواباً يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب "، فالتعصب في الرأي، ليس من طبيعة العلماء المتنورين .

لذلك فإن كثيراً من العلماء ، يتخرجون كثيراً عندما يفتون بحل أو حرمة شيء أو فعل معين، مصداقاً للآية 116 من سورة النحل التي سبق أن اشرنا إليها، وأكد ذلك الإمام

القرطبي في تفسيره فقال :

أسند الدارمي أبو محمد في مسنده أخبرنا هارون عن حفص عن الأعمش قال:

(1) مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ النحل: ١١٦ .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 10 ص 196 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

ما سمعت إبراهيم قط يقول حلال ولا حرام ، ولكن كان يقول: كانوا يكرهون وكانوا يستحبون. وقال ابن وهب قال مالك : لم يكن من فتيا الناس أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولوا : إياكم كذا وكذا ، ولم أكن لأصنع هذا ، ومعنى هذا أن التحليل والتحریم إنما هو لله عز وجل ، وليس لأحد أن يقول أو يصرح بهذا في عين من الأعيان ، إلا أن يكون البارئ تعالى يخبر بذلك عنه. وما يؤدي إليه الاجتهاد في أنه حرام يقول: إنى أكره " كذا " ، وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من أهل الفتوى.

- وقد أشارت سورة يونس ، في ثلاث آيات شبه متوالية ، أن كتاب الله يشمل بإجمال أحكام الدين ، وأن الناس عليهم عدم إتباع الظن في حكمهم للأمر ، فقال تعالى في الآية 36 من سورة يونس :

﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾
يونس: ٣٦.

"وفي هذه الآية دليل أنه لا يكتفي بالظن في العقائد ، فالحق المنصوص عليه في هذه الآية هو اليقين وليس الظن كاليقين ..⁽¹⁾

وفي الآية 37 من السورة نفسها قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
يونس: ٣٧.

قال القرطبي : " التفصيل: التبيين، أي يبين ما في كتب الله المتقدمة ، وقيل: أراد بتفصيل الكتاب ما يُبَيَّن في القرآن من الأحكام ."

أي أن الرجوع للقرآن الكريم لمعرفة الأحكام ، هو الأصل ، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " ، ونعلم أنه من المتفق عليه لغة وشرعا أن المقصود بالجيوب، فتحة الصدر ، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى كان قادراً على أن يضيف

(1) الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 343 .

(2) المرجع السابق ج 8 ص 344 .

كلمة وجوههن أيضا ، أو يثبتها في الآية بدلا من جيوهن " ، لينحسم الجدل ولا يثور أي خلاف على تغطية الوجه ، إنما حرص الإسلام على تغطية الرأس بما فيها الشعر لزيتته التي لا تخفى ، والتي تفنن فيها - للأسف - بعض النساء ، وحرص الإسلام على تغطية منطقة الصدر " جيوهن " لما فيها من الفتنة المنهي عنها .

(1)

قال الفخر الرازي في تفسيره للآية 36 من سورة يونس السابق الإشارة إليها :

" العقول مضطربة والحق صعب ، والأفكار مختلفة ، ولم يسلم من الغلط إلا الأقلون ، فوجب أن الهداية وإدراك الحق لا يكون إلا بإعانة الله سبحانه وتعالى وهدايته وإرشاده ، ولصعوبة هذا الأمر قال الكليم عليه السلام بعد استماع الكلام القديم (رب اشرح لي صدري) وكل الخلق يطلبون الهداية ويحترزون من الضلالة ، مع أن الأكثرين وقعوا في الضلالة ، وكل ذلك يدل على أن حصول الهداية والعلم والمعرفة ليس إلا من الله تعالى .

- في سورة هود الآية 112 قال تعالى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١٢)

هود: ١١٢ .

(2)

وقال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية :

(فاستقم كما أمرت) هذه الكلمة كلمة جامعة في كل ما يتعلق بالعقائد والأعمال ، سواء كان مختصا به أو كان متعلقا بتبليغ الوحي وبيان الشرائع ، ولا شك أن البقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جداً ، وأنا أضرب لذلك مثالا يقرب صعوبة هذا المعنى إلى العقل السليم ، وهو أن الخط المستقيم الذي يفصل بين الظل وبين الضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض ، إلا أن عين ذلك الخط مما لا يتميز في الحس عن طرفه ، فإنه إذا قرب طرف الظل من طرف الضوء اشتبه البعض البعض في الحس ، فلم يقع الحس على إدراك ذلك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه .

(1) التفسير الكبير ج 17 ص 90 .

(2) التفسير الكبير للفخر الرازي ج 18 ص 70 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

إذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع أبواب العبودية ، فأولها : معرفة الله تعالى وتحصيل هذه المعرفة على وجه يبقى العبد مصوناً في طرف الإثبات عن التشبيه ، وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة ، واعتبر سائر مقامات المعرفة من نفسك ، وأيضا فالقوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لكل واحدة منهما طرفاً إفراط وتفريط وهما مذمومان ، والفاصل هو المتوسط بينهما بحيث لا يميل إلى أحد الجانبين ، والوقوف عليه صعب ، ثم العمل به أصعب ، فثبت أن معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة ، بتقدير معرفته فالبقاء عليه والعمل به أصعب ، ولما كان هذا المقام في غاية الصعوبة لا جرم قال ابن عباس : ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية أشد ولا أشق عليه من هذه الآية . ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : شيبتي هود وأخواتها ، وعن بعضهم قال : رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت له : روى عنك أنك قلت شيبتي هود وأخواتها فقال : " نعم " فقلت وبأي آية ؟ فقال بقوله (فاستقم كما أمرت) .

(1)

ولخص الإمام القرطبي معنى الاستقامة في قوله :

" الاستقامة هي الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشمال ، أي فاستقم على امثال أمر الله ، والانتها عن الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ... "

- أما قوله تعالى : في سورة يونس / 39 :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يونس : ٣٩ .

فقد اعترض الله سبحانه وتعالى على الذين يكذبون ويعترضون على أشياء ، رغم عدم علمهم الكامل لعناصر الموضوع ، وعدم جدهم واجتهادهم في طلب أسرارها وحقيقتها .
- وقد نهى الله سبحانه وتعالى الناس عن المجادلة بغير علم مكتسب ، أو هداية وبصيرة من الله أو دليل من كتاب الله سبحانه وتعالى ، وذلك في قوله تعالى :

(1) الجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 107 .

(2) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج 17 ص 98 ، والجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 344 .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ الحج: ٨.

كما نهى سبحانه وتعالى الناس، عن اتباع ما ليس عليه دليل صحيح، لأن الإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٦.

(1)

وقال في ذلك الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:

"أي لا تتبع ما لا تعلم. وقال قتادة: لا تقل رأيت وأنت لم تر وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، وقاله ابن عباس رضى الله عنه."

- قال تعالى في أول سورة المؤمنون، الآيات من 1 إلى 11:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ المؤمنون: ١ - ١١.

"فقد حكم الله على الموصفين بالصفات السبع المشار إليها في هذه الآيات بالفلاح

وهي:

1- الخشوع في الصلاة.

2- الإعراض عن اللغو.

3- أداء الزكاة.

4- حفظ الفرج.

5- الأمانة.

(1) ج 10 ص 257، والفخر الرازي ج 20 ص 207.

6- حفظ العهد .

7- المحافظة على الصلاة

ولم تتمم الآيات ذكر باقي العبادات الواجبة كالصوم والحج والطهارة لأن قوله تعالى :
(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) يأتي على جميع الواجبات من الأفعال والتروك ،
والطهارات دخلت في جملة المحافظة على الصلوات الخمس لكونها من شرائطها ⁽¹⁾ .

- كما قال تعالى في سورة الفرقان الآيات من 63 حتى 77 :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ الفرقان: ٦٣ - ٧٧ ⁽²⁾

وقال القرطبي تفسيره لهذه الآية :

" ذكر الله عباد الرحمن وذكر صفاتهم وأضافهم إلى عبوديته تشريفا لهم " ، وقد ذكر الله
سبحانه وتعالى العديد من صفاتهم ، التي بلغت أربع عشرة صفة هي :

- 1- يمشون على الأرض هونا ، تواضعا وسكينة .
- 2- معاملة الناس بالصفح والهجر الجميل وعدم معاملتهم بالمثل في حالة حدوث اعتداء عليهم بالقول .
- 3- قيام الليل .
- 4- الخوف والوجل من عذاب الله والدعاء إليه بالوقاية من النار .
- 5- عدم الإسراف في إنفاق الأموال .
- 6- عدم الإشراك بالله .
- 7- عدم الاعتداء على الغير .
- 8- عدم الزنا .
- 9- التوبة إلى الله والعمل الصالح .

(1) التفسير الكبير ج 23 ص 82 ، الجامع لأحكام القرآن ج 12 ص 102 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 67 .

10- عدم شهادة الزور ولا يحضرون مجالس الكذب والباطل .

11- عدم اللغو وكل سقط القول أو الفعل

12- عدم الغفلة عن القرآن وذكر الله .

13- الدعاء إلى الله بالولد والزوجة التي تقر بها عينه .

14- تقوى الله والدعاء بأن يكون قدوة يقتدى به في الخير .

(1) وأكدت السيدة / نعمت صدقي على أهمية لجوء الإنسان إلى الصراط المستقيم فقالت :
" إذا رجع الناس إلى الصراط المستقيم ، وإذا تفهموا الحكمة في أوامر العليم الحكيم ،
وجدوا أنه تعالى لم ينه عن شيء إلا لما فيه عليهم من ضرر جسيم ، ولا أمر بشيء إلا وكان فيه
لهم الخير العظيم ، وأنه أراد أن يحفظنا ويربينا بشرائعه وآياته الكريمة " .

ويلاحظ أنه بالرجوع إلى الآيات السابق الإشارة إليها في سورة المؤمنون أنها ذكرت أن
المؤمنين يتصفون بحفظ الفرج وآيات سورة الفرقان أشارت إلى أن عباد الرحمن يتصفون
بعدم الزنا ، بالإضافة إلى الصفات الأخرى الطيبة التي يجب أن يحرص عليها المؤمن ،
وكذلك الصفات الأخرى التي يجب أن يتخلى عنها ، ولم تشر هذه الآيات أو تلك أو غيرها
من الآيات القرآنية إلى ضرورة تغطية الوجه ، إنما ما ورد - كما سبق أن ذكرنا في أكثر من
مناسبة - أن الأمر جاء للنساء ، بأن يضربن بخمرهن على صدورهن .

- العلماء كثيرون ، في شتى مجالات العلم ، ولكن يبرز منهم - كل في مجاله - علماء جمعوا
بين العلوم التي حصلوها في مجاهم ، وبين فطنة وبصيرة ورجاحة عقل ، ونور رباني يجعلهم
صائبين في أحكامهم ، وتجدهم غالبا على يقين عند الإدلاء بأرائهم واقتراحاتهم ، ومن هؤلاء
العلماء الربانيون ، الذين أشارت إليهم الآية 79 من سورة آل عمران ، في قوله تعالى :
" ... ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون " .

(1) التبرج ص 31 .

وقد جاء في الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره هذه الآية :

" والربانيون واحدهم رباني منسوب إلى الرب . والرباني الذي يُرَبَّى الناس بصغار العلم قبل كباره ؛ وكأنه يقتدى بالرب سبحانه في تيسير الأمور؛ روى معناه عن ابن عباس قال بعضهم: كان في الأصل ربِّي فأدخلت الألف والنون للمبالغة ؛ كما يقال لعظيم اللحية : لِحْيَانِي ولعظيم الجُمة جُمَانِي ولغليظ الرقبة رَقَبَانِي. وقال المبرد : الربانيون أرباب العلم، واحدهم ربان، من قولهم: رَبَّه يربه فهو ربان إذا دبره وأصلحه، فمعناه على هذا يدبرون أمور الناس ويصلحونها، والألف والنون للمبالغة كما قالوا ربان وعطشان، ثم ضمت إليها ياء النسبة كما قيل: لحياني ورقباني وجماني.

فمعنى الرباني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه ؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم. وقال أبو رزين: الرباني هو العالم الحكيم. وروى شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود " ولكن كونوا ربانيين " قال: حكماء علماء، ابن جبير: حكماء أتقياء. وقال الضحاك: لا ينبغي لأحد أن يدع حفظ القرآن جهده فإن الله تعالى يقول: " ولكن كونوا ربانيين"، وقال ابن زيد: الربانيون الولاية ، والأخبار العلماء، وقال مجاهد: الربانيون فوق الأخبار، قال النحاس: وهو قول حسن، لأن الأخبار هم العلماء ، والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، فهو راب ورباني على الكثير. قال أبو عبيدة : سمعت عالما يقول: الرباني العالم بالحلل والحرام والأمر والنهي، العارف بأبناء الأمة وما كان وما يكون، وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

والربانيون هم أهل الذكر الذي أشار إليهم الله سبحانه وتعالى في سورة النحل/43، في قوله عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَمَسَّلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴾ (٤٣) النحل: ٤٣.

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

وقد ورد في كتب التفسير معان كثيرة في أهل الذكر، منها أنهم (أهل التوراة، أو أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى ، أو أهل العلم بأخبار الماضين) باعتبار أن هذه الآية جاءت بعد آيات فيها إنكار الكفار للنبوّة ، وعدم التصديق بالبعث والحشر إلا أن المعنى الذي نريد إبرازه هنا والذي ورد أيضا في كتب التفسير⁽¹⁾ أن الأمر بسؤال أهل الذكر يعنى سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق .

مما سبق يتضح أن الصراط المستقيم ومعرفة الحق والصواب يحتاج إلى جهد ومجاهدة، لذا فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ، بالتوجه بالدعاء إليه ، مرات ومرات يوميا ، في الصلاة ، وجعله آية من سورة الفاتحة لطلب الهداية من الله إلى صراطه المستقيم .

فكلما التزم الشخص المنهج السليم ، وتعرف على الرأي الصحيح فهو على الصراط المستقيم، وكلما التزم بأوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر الرسول ﷺ فهو على الصراط المستقيم ، وكلما اجتنب المعاصي صغیرها وكبیرها فهو على الصراط المستقیم... وهذا ما لا خلاف عليه ، فالكل يتفق على ذلك ، إنما المشكلة الأزلية تكمن في الاختلاف في فهم كيفية تنفيذ بعض الأوامر أو النواهي ، والاختلاف في الرأي له أسباب عديدة ، سنشير إليها فيما بعد ، إنما ما ندعو إليه ، هو أهمية الالتزام بالأوامر وتجنب النواهي بفكر واع ، يستلهم الأحكام من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وما ورد من أقوال الصحابة وكتب السيرة الصحيحة ، ولا يأخذ الحكم من آية واحدة أو حديث واحد ، بل إن مجموع النصوص، هي التي توضح الحكم الصحيح الذي يجب عليه العمل .

فلا بد لكل من يتعرض للفتوى أن يكون على معرفة بالعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ، والمقيد والمطلق ، والمحكم والمتشابه، وأسباب النزول ، وأنواع الحديث النبوي ودرجاته ، إلى غير ذلك من علوم القرآن والحديث التي لا غنى عنها وعن فهمها الفهم الصحيح حتى يتمكن من استنباط الأحكام التي تتضمنها استنباطا صحيحا ، وحتى لا نترك

(1) الفخر الرازي ج 20 ص 36 .

الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة

فرصة للنفس أو الشيطان أو لمفت جاهل ، أن يعطينا معلومة خاطئة ، تؤدي بالسائل إلى الخطأ والتمسك بأمور وتصرفات يجانبها الصواب .

لذلك فادعوكم وأدعو نفسي ، إلى الإبتغال إلى الله دائماً - بوعى وحضور قلب - في الصلاة - وكلما تيسر ذلك - بالهداية إلى الصراط المستقيم لأن فيها النجاة ، واكتساب الخير كل الخير في الحياة الدنيا والآخرة .